مفهوم التفسير الموضوعي

المدرس المساعد
عبير عبد الحسين محي عبود
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه
ZAHRTALQHTO@GMAIL.COM

The concept of objective interpretation

Lecturer. Asst.
Abeer Abdul-Hussain Muhi Aboud
University of Kufa - Jurisprudence of Faculty

الملخص:

- أنَّ البيان المفهومي للتفسير الموضوعي الذي قدمه السيد الصدر يُبنى على أساس وجود موضوع خارجي(إشكال واقعي) له حاجة إلى حلٍ فيركن القعل البشري إلى لملة النصوص القرآنية الخاصة بهذا الموضوع وتفسيرها بياناً انتهاءً إلى استخلاص نظرية شمولية عن الموضوع تمثل حلاً له على أرض الواقع؛ وبهذا يكون الباعث خارجياً (خارج النص) والمآل داخلياً (داخل النص).

- ولكن بالمقابل يمكن القول بأن انتقاء أي موضوع من موضوعات القرآن الكريم تلبيةً للمثير العقلي له والبحث عنه في طيات النصوص القرآنية بالكيفية التي يتبعها التفسير الموضوعي والخروج برؤية كلية عن الموضوع من القرآن الكريم فهو يعد ايضاً من سنخ التفسير الموضوعي ولكن بلحاظ طبيعة الاداء ولا يكون ملاحظاً حقيقة الداعي الى دراسة الموضوع.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، التفسير الموضوعي، موضوع خارجي، نظرية شمولية، مثير عقلي، نظرية قرآنية، الموضوعات القرآنية، الموضوع، الواقع، العقل البشري.

Abstract:-

-The conceptual statement of the objective interpretation presented by Mr. Al-Sadr is based on the existence of an external subject (a realistic problem) that needs to be resolved in the human mind to the boredom of the Qur'anic texts on this subject and its interpretation of a statement ending in the conclusion of a comprehensive theory on the subject that represents a solution to it on the ground In fact، the motivation is external (outside the text) and the outcome internally (within the text.(

-But on the other hand it can be said that the selection of any topic of the Qur'an in response to the mental exciter to him and search for it in the folds of the Qur'anic texts in how followed by objective interpretation and coming up with a total vision of the subject from the Holy Quran is also considered to be a sin of objective interpretation but the nature of Performance and does not really notice the need to study the subject.

Keywords: The Qur'an، objective interpretation، external subject، holistic theory، intellectual thriller، Qur'anic theory، Qur'anic subjects، subject، reality، human mind.

المقدمة:

إذا كان النصُّ القرآني يمثل خطابَ السماء الذي تستقي منه العقليةُ البشريةُ منطقَها في الحياة وتستورد منه النفسُ الانسانيةُ منهجها في أداء المطلب الإلهي الذي يقضي بوجوب الحقّ وجبرية أدائه؛ فإنّه يمكنُ أنْ يُقالَ - بما لا يقبل الشكّ - بأنَّ هذا المنطق الإلهي لا يمكنُ له أنْ تعتريه سمة التوقف أو تسير إليه صفةَ الأُفولِ.

فإذا كان النص القرآني يمثل في إحدى خصائصه حلاً لأزمة التحديات التي تواجه العقل البشري؛ فإن هذا يستلزمُ أنْ ينطوي ذلك النصُّ على جملة من المضامين التي يمكن أن تُوصَف على أنَّها معالجات نصّية إذا ما طُبِّقت على أرض الواقع الإنساني فإنها ستثمر في تقديم حلاً انموذجياً يسهمُ في إقصاء ما يواجهه ذلك الواقع من معرقلات وعوائق.

إذ لابد للعقل البشري من أنْ يواجه خلال مسيرته إشكالات معرفية تبتغي معالجة، لأن مسيرة الحياة تقتضي الانتقال من البساطة الى التعقيد؛ من هنا كانت خصوصيات الحياة تشترط على العقلِ موضوعاً مُشكلاً يقع أمامه الفكر حائراً يرجو حلولاً فيلجأ إلى النص القرآني مُلتمساً منه إجابة لذلك المشكل؛ من هنا يتجلى ما يسمى بـ (المنهج الموضوعي في التفسير القرآني) الذي شكل قفزة نوعية في مجال التفسير، بحيث شغل اهتمام المفسرين، الذين رأوا فيه المنهج الأرقى والطريقة المثلى في الإحاطة بالمراد القرآني.

المبحث الأول

مفهوم (الموضوع) في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول

معنى (الموضوع) في اللغة

إذا كان لأصحاب كل فن تخصصي مجموعة من المصطلحات يتداولونها في نطاق تخصصهم المعرفي، فإنه يمكن القول بأن تلك المصطلحات المتداولة بها لها رابطُ بالمعنى اللغوي لها، ذلك بأن اغلب المفاهيم العلمية والمصطلحات المعرفية المستعملة مشتقة مضموناً من معناها المعجمي في الأعم الأغلب، واذا كانت الحال هذه فان من الواجب على الباحثة قبل الخوض في معرفة مفهوم الموضوع في الاصطلاح ان تعرض للمعنى

اللغوي للفظة (الموضوع) لعلها تقف على الرابط الدلالي بينهما مما يزيد بيان ومعرفة المفهوم الاصطلاحي محصلةً.

وإذا كان معجم (العين) للفراهيدي هو اقدم ما وصل إلينا فإننا سنقتفي المعنى اللغوي للموضوع منه ابتداءً يقول الفراهيدي: ((الوضع: مصدر قولك: وضع يضع))[١]، فالمراد هو اقرار الشيء في مكان معين وابقاؤه فيه، ويرى ابن فارس أنه: ((اصل واحد يدل على الخفض{للشيء} وحطه، وضعته بالأرض وضعاً))[٢]، وبهذا فهو لا يبتعد عما قرره الخليل من معنى غير أنه اضاف معنى الخفض للشيء فالوضع، ضد الرفع، وضَعَه يضَعَهُ وُضْعاً وَمُوْضُعاً، والموضع المكان، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض او بمعنى الإلقاء والتثبت في المكان[٣].

ويبدو أن: الاصل الواحد في المادة: هو جعل شيء في محل، وهذا المعنى تختلف خصوصياته باختلاف الموارد، ومن مصاديقه: جعل الجنين في محل بالتولد، وجعل شيء وديعة عند شخص امين، وجعل النفس ففي محل منخفض معنوياً، وجعل شيء ثابتاً ومستقراً في مكان[٤].

مما تقدم نجد ان: كلمة:(الموضوع) لُغة مأخوذة من الوضع وهي مادة تدل على مطلق جعل الشيء في مكان، وهي اسم مصدر للمصدر (وَضْعْ)، واشتقاقها مأخوذ من جذر ثلاثي هو: الفعل(وَضَعَ)، والمعنى فيها: الخفض والحط والالقاء والتثبت، وعليه فالموضوع لغة، هو: جعل الشيء في مكان ما سواء بأنزاله وتنزيله أو القاءه وتثبيته.

بهذا نخلص الى أن الموضوع مشتق من لفظة (الوضع)، وان هذا اللفظ يحمل ثلاثة معاني أما خفض الشيء وحطه على الأرض أو القاء الشيء في مكان ما أو تثبيت الشيء في المكان، ويبدو أن معنى خفض الشيء والقائه لا رابط لهما بالمفهوم الاصطلاحي (الموضوع) الذي نبتغيه في دراستنا هذه، ولكن لعل لمعنى تثبيت الشيء في المكان رابطاً بموضوعنا هذا وسيرد بيان ذلك لاحقاً في تضاعيف الدراسة.

وقد جاء القرآن الكريم بمعانٍ عديدة للفظة (الوضع)، وهي ((الحط والخفض للشيء والالقاء والتثبت))[٥]، والملاحظ كثرة استعماله فيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٦] فالحديث هنا عن بني اسرائيل والمراد من لفظة (يضع) هو انه سبحانه يُسقط عنهم ثقل العهد الذي أُخذ عليهم، ويَضَعُ عَنْهُمُ التَّكَالِيفَ الشَّاقَّةَ، كَاشْتِرَاطِ قَتْلِ النَّفْسِ فِي صِحَّةِ التَّوْبَةِ، وَالقِصَاصِ فِي القَتْلِ العَمْدِ أَوِ الخَطَإِ، مِنْ غَيْرِ شَرْعٍ لِلدِّيَةِ، وَقَطْعِ الأَعْضَاءِ الخَاطِئَةِ، وَقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ مِنَ الثَّوْبِ، وَتَحْرِيمِ السَّبْتِ وذلك باتباعهم الاسلام إذ جاهم الرسول ﷺ بِمَا هُوَ يُسْرٌ وَسَمَاحَةٌ [٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[٨]، فالمراد بـ (وضعتها)ههنا ولدتها جارية [٩].

ونلاحظ ان هذا المعنى مطابق للمعنى اللغوي، لأنه استعمال بالمعنى الأعم، ولكن وردت آية قرآنية فيها اشارة طفيفة لمفهوم الموضوع الذي نريد وذلك في سورة الأنبياء اذ وردت بمعنى: إيجاب الشيء وإثباته في المكان وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾[١٠] فيكون وصف التفسير ((بالموضوعي)) ملحوظاً فيه هذا المعنى، لأن المفسر يثبت كل آية في موضعها من المعنى الكلي للقضية التي يبحثها.

وعوداً على بدء يمكن القول بأن التتبع الدقيق لكتب المعجم يمكن ان يوقفنا على لمحة لمضمون (الموضوع) الذي نريده إذ نجد الجوهري يقول ((...و الضعة شجرة من الحمض...يقال ناقة واضعة للتي ترعاها، قال ابو زيد: إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح قيل: وضعت تضع وضيعة فهي واضعة، قال: وكذلك وضعتها انا، وهي موضوعة يتعدى ولا يتعدى))[١١] وقال الفيروز آبادي: ((والابل وضيعة رعت الابل حول الماء ولم تبرح...ووضعتها: الزمتها المرعى فهي موضوعة))[١٢] فعلى هذا: ((يكون الموضوع هنا بمعنى الشيء الذي له صفة معينة، والزم مكاناً معيناً، لا يبرحه الى غيره وهذا المعنى ملحوظ تماماً في تقيد التفسير بالموضوعي لأنه يلزم المفسر الارتباط بمعنى معين، وصفة معينة، ولا يتعداهما الى غيرهما حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به))[١٣].

ومن هنا نخلص الى أن ثمة رابطاً مضمونياً بين معنى الموضوع في اللغة ومضمونه في الاصطلاح ويكمن ذلك الرابط في معنى (التثبت والملازمة) فالتفسير الموضوع يلزم صاحبه فيه على موضوع واحد لا يبرحه حتى يستوفي كل ماله صلة دلالية به، وبهذا فهو من وجه

آخر ملازم له لا ينفك عنه أبداً حتى ينتهي الى مراده منه، وبهذا نجد أن معنيي التثبت والملازمة من سمات التفسير الموضوع مضموناً وأداءً.

المطلب الثاني

مفهوم (الموضوع) في الاصطلاح

إن زوايا النظر للمفهوم تختلف باختلاف التخصصات العلمية والمنطلقات المعرفية لأصحابها وبناءً على هذا التباين والاختلاف كان لمفهوم (الموضوع) وجهات تعريفية متعددة كل بحسب اختصاصه وهي إجمالاً على النحو الآتي:

١- في اصطلاح المُحَدِّثين: هو الكلام المختلق الموضوع، والمكذوب على رسول الله ﷺ عمداً أو سهواً، وهو باطل لا أصل له[١٤].

فالموضوع في نطاق علم الحديث هو ما وضع على لسان الرسول ﷺ ولم يقله الرسول قط فكان هذا المفهوم يقترب من المعنى اللغوي للفظة (الموضوع) وهو الحط، ومن جهة اخرى فإنَّ الموضوع في مجال علم الحديث يقابل لفظ (المختلق) الذي لا أساس له من الصحة.

٢- وهو عند المناطقة: ما وضع ليحكم عليه بشيء فالمبتدأ موضوع ليحكم عليه بالخبر، والخبر محمول لأنه حمل على شيء هو المبتدأ وهكذا الفاعل موضوع، والفعل محمول[١٥] فالموضوع هو اصل الكلام الذي يبني عليه المتكلم ويكون الركن الثاني للكلام محمولاً أو مجعولاً على الموضوع.

٣- وعند علماء التفسير: هو ((القضية التي تعددت اساليبها واماكنها في القرآن الكريم، ولها وجهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة))[١٦].

إن هذه التعريفات للموضوع منها ما هو ذو صلة بما نريد ومنها ما لا صلة له، فأما ما لا صلة له فهو مفهوم (الموضوع) في علم الحديث لأنه يقابل مضمون أو دلالة (المختلق) وهذا ما لا رابط له بموضوعنا، أما ماله صلة فهو (الموضوع) عند أهل المنطق لأنه يمثل الأصل الذي يدور عليه عمل المفسر ويبنى عليه جهده وغايته، أما مفهوم (الموضوع) عند علماء التفسير فهو اصل موضوعنا ومدار دراستنا دون أدنى شك.

المبحث الثاني

مفهوم التفسير الموضوعي

المطلب الأول

التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر

إن المنطق الأساس لمفهوم التفسير الموضوعي عند السيد الصدر يدور بين ثلاثة أقطاب رئيسة وأساسية اولها (التساؤل عن إشكالية خارجية) وثانيهما (البحث داخل النص) وثالثهما الرابط بينهما وهو (العقل البشري) ففي التدبر الموضوعي ينطلق المتدبر من الواقع الخارجي وما يعج به من إشكاليات ومعضلات عملية أو فكرية، ويعود الى القرآن الكريم ليعرض ذلك عليه ليعطي رأيه فيه ورائده في ذلك العقل الرابط بين تلك الاشكالية الخارجية والحل الملتمس لها في طيات النص القرآني[١٧]، ثم ينطلق العقل الإنساني الى الواقع الخارجي بنتائج بحثه من القرآن الكريم ليعالج ذلك الواقع الخارجي به، يقول السيد الصدر: ((يلتحم القرآن مع الواقع، يلتحم القرآن مع الحياة، لأن التفسير يبدأ من الواقع وينتهي الى القرآن، لا أنه يبدأ من القرآن وينتهي بالقرآن، فتكون عملية منعزلة عن الواقع، منفصلة عن تراث التجربة البشرية بل هذه العملية تبدأ من الواقع، وتنتهي بالقرآن بوصفه القيم والمصدر الذي يحدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة الى ذلك الواقع))[١٨] ثم يعود الأنسان الى واقعه وهو يحمل الحل الإلهي لمعالجة ذلك الواقع، وبهذا تكون عملية التفسير الموضوعي عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له فهي ليست مجرد استجابة سلبية أو تلقي دلالي من القرآن الكريم فحسب بل تكون استجابة فعالة وتوظيف هادف للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائقه الكبرى لتيسير عجلة الحياة، وبذلك تكون نتائج التفسير الموضوعي دائماً مرتبطة بتيار التجربة البشرية لكونها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة نفسها[١٩].

وليست كل دراسة في القرآن تشترك في موضوع محدد تعد من قبيل الدراسة الموضوعية وهذا ما تنبه عليه السيد الصدر قائلاً: ((واما ما ظهر على الصعيد القرآني من دراسات تسمى بالتفسير الموضوعي احياناً من قبيل دراسات بعض المفسرين حول موضوعات معينة تتعلق بالقرآن الكريم كأسباب النزول أو القراءات أو الناسخ والمنسوخ أو مجازات القرآن،

فليست من التفسير التوحيدي و الموضوعي بالمعنى الذي نريده، فإن هذه الدراسات ليست في الحقيقة الا تجميعاً عددياً لقضايا من التفسير التجزيئي لوحظ فيما بينها شيءٌ من التشابه، وفي كلمة أخرى ليست كل عملية تجميع أو عزل دراسة موضوعية، وإنما الدراسة الموضوعية هي التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية وتتجه الى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده))[٢٠] فالاتجاه الموضوعي عند السيد الصدر لا يعني مجرد تجميع الآيات حول موضوع واحد وبناء مدلولاتها لتصب في مركب نظري واحد بل يلحظ في ذلك الواقع البشري، وما أفرزته التجربة البشرية.[٢١]

وقد أوضح السيد الحكيم مراد أستاذه فقال في هذا الموضع: ((يراد من الموضوعية بما ينسب الى الموضوع، حيث يختار المفسر موضوعاً معيناً، ثم يجمع الآيات التي تشترك في ذلك الموضوع، فيفسرها ويحاول استخلاص نظرية قرآنية منها، فيما يخص ذلك الموضوع))[٢٢] تحديداً.

وقد نسج محمد هادي معرفة على مقولة السيد الصدر موافقاً له ومتفقاً معه فيما قرره؛ إذ يقول بعد أن يقدم تعريفه للتفسير الموضوعي: ((وعليه فالبحث في الشؤون القرآنية في مسائل ودلائل تدور حول القرآن، خارج عن هذا التحديد كالبحث عن القراءات وأعاريب القرآن، والبحث عن بلاغته وإعجازه وبيانه، وعن الناسخ والمنسوخ في القرآن، والبحث عن متشابهات القرآن وعن الحروف المقطعة وما شاكل، مما اصطلحوا عليه بـ(علوم القرآن) أي الباحثة عن شؤون القرآن، وليس بحثاً وراء الحصول على نظرة القرآن))[٢٣]، في موضوع من الموضوعات وهذا بالضبط منطق السيد الصدر في تحديده لمفهوم التفسير الموضوعي، لأنه يبحث فيه داخل النص بداعٍ من خارجه، ولا يكون المراد بأن يحوم الباحث على مدارات النص ويعدها جزءاً موضوعياً منه كحال من عد النسخ من التفسير الموضوعي.

ويسمى هذا النمط من التفسير بـ (الموضوعي) تارة وبـ (التوحيدي) تارة أخرى إذ يقول السيد الصدر: ((اصطلاح الموضوعية هنا... بمعنى أنه يبدأ من الموضوع من الواقع الخارجي من الشيء الخارجي ويعود الى القرآن الكريم،...وتوحيدي باعتبار أنه يوحد بين

التجربة البشرية والقرآن الكريم، لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن، لا بمعنى أنه يخضع القرآن للتجربة البشرية؛ بل بمعنى أنه يوحد بينهما في سياق بحث واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق الموحد من البحث، يستخرج المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية التي ادخلها في سياق بحثه))[٢٤].

وبهذا سمى موضوعي لكونه يتناول موضوعاً واحداً، ويختار الآيات المشتركة في ذلك الموضوع، ويكون الواقع الموضوعي (الخارجي) محطة مركزية له، إذ يتم طرح اسئلة الواقع على القرآن ليضعها بين يديه فيجيب عليها وسمي توحيدياً لكونه يوحد بين مدلولات الآيات المختارة ليضعها ضمن توليفة واحدة ومركب نظري متكامل، ويوحد بين التجربة البشرية والقرآن، دونما تحميل للواقع على النص، فيحل إشكالية الأصالة والمعاصرة وعلى هذا الضوء تبقى للقرآن قيمومته الدائمة وقدرته المستمرة على العطاء والابداع؛ إذ تبقى المعرفة القرآنية أصيلة وعصرية على الدوام لأنها تجمع بين النص والواقع، بهدف الحصول على النظرية القرآنية تجاه التجربة البشرية وما تختزنه من نظريات كونية أو مقولات فكرية وغيرها بهدف الوصول الى تصور سليم، فينتج كل عصر المعرفة القرآنية التي يحتاج اليها في عصره[٢٥]، وبهذا فإن التدبر الموضوعي الذي نترقبه لا يعني مجرد جمع الملاحظات المتناثرة و التجزيئية، بل يدرس موضوعاً بعد آخر مهتدياً بالرؤية القرآنية وتنتظم الملاحظات والافكار في كل موضوع ضمن خيط جامع ورؤية موحدة لذلك عبر عنه بعض الباحثين بأنه الثورة التفسيرية الكبرى، ولا يمكن الاستغناء عن التدبر الموضعي لكونه يقرب المسافة للخلوص الى تدبر موضوعي[٢٦].

بهذا نجد أن مفهوم التفسير الموضوعي عند السيد الصدر هو أن نتناول موضوع من الموضوعات القرآنية ونجمع عليه كل الآيات التي ترتبط به وتنتظم حوله ونخرج محصلة بنظرية متكاملة تمثل حلاً لمشكل خارجي في المجتمع، وذلك بأن داعي التفسير أصالةً هو الانطلاق من مشكل خارجي لإيجاد حلٍ له من النص القرآني ولهذا فهو يسمى موضوعي لأنه ينطلق من موضوع خارجي معضل، ويسمى توحيدي لأنه يوحد بين التجربة البشرية والنص القرآني من خلال عرض مشكل التجربة البشرية على علاج النص القرآني لها، وبهذا او لهذا أخرج السيد الصدر كل ما لا صلة له بالمشكل الخارجي كـ (الناسخ والمنسوخ

وأسباب النزول) وغيرها لأنها لاتعد من جنس الموضوع الخارجي المشكل الذي نبحث له عن حل وعلاج من النص القرآني مطلقاً وعليه فهو ليس من جنس التفسير الموضوع في النهاية.

المطلب الثاني

مفهوم التفسير الموضوعي عند المحدثين

عند النظر الى منظور العلماء المحدثين لمفهوم التفسير الموضوعي نجد أن منظورهم هذا يباين منظور السيد الصدر في نظرته الى مفهوم هذا النوع من التفسير، فهم يتفقون على أن داعي تسمية هذا المنهج بـ(الموضوعي) تصدر من جمع النصوص القرآنية التي تقوم على موضوع واحد وتفسيرها تفسيراً شمولياً لأنتزاع رؤية قرآنية تتكامل عن الموضوع المراد بيانه[٢٧] ومن جنس الذين اسسوا هذه النظرية لمفهوم التفسير الموضوعي الأستاذ امين الخولي إذ يقول: ((ان يفسر القرآن موضوعاً موضوعا وأن تجمع آياته الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائيا مستفيضاً، ويعرف بترتيبها الزمني، ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيما بعد لتفسر وتفهم، فيكون بذلك التفسير اهدى الى المعنى، وأوثق في تحديده))[٢٨]، نجد ان الاستاذ الخولي لم يذكر ولم يحدد التفسير الموضوعي بل تحدث عن المنهج المتبع في هذا النوع من التفسير، فنلحظ أن هذا التعريف قد جاء باعتبار الخطوات لا باعتبار المفهوم والماهية، إذ يقتصر على خطوات التجميعي دون الكشفي، ويلح على ان التفسير الموضوعي يرتب بحسب النزول، وهذا يدل على حضور غايات معينة جعلت التعريف يسجل هذا الشرط كالغاية الفقهية التشريعية التي تحتاج لكي تعرف الناسخ والمنسوخ وتدرج الأحكام الى ترتيب الآيات بحسب النزول، والترتيب وفقها ليُعلم التشريع الأخير ليتم أمتثاله، والا فالدراسة القرآنية التي ترتجي تناول(موضوع) في القرآن الكريم قد لا تقتضي أن، ترتب الآيات ترتيباً زمنياً بحسب النزول بل تكون بحسب معايير منهجية اخُرى تستدعيها طبيعة البناء المنطقي للموضوع المراد بيانه، كتقديم النتائج على الحلول، أو الأسباب على النتائج، ويبدو أن حضور الغاية الفقهية لدى أمين الخولي كان واضحاً الى الحد الذي أشترط فيه الترتيب الزمني في كل التفسير الموضوعي، وليس الأمر كذلك في حقيقة الأمر فهناك مجالات من التفسير الموضوعي تحتاج الى ترتيب الآيات منهجياً لازمنياً[٢٩].

وعليه فليس الترتيب الزمني شرطاً او قيداً في بناء مفهوم (التفسير الموضوعي) كما حسب ذلك الخولي.

ويبدو ان الدكتور الصغير ذهب مشاطراً أمين الخولي منطقه المفهومي للتفسير الموضوعي اذ يذهب قائلاً أن التفسير الموضوعي يتحقق بـ: ((أن يقوم جملة من المتخصصين على دراسة شذرات ونجوم من القرآن كل بحسب تخصصه، فيجمع الباحث مادة موضوع من موضوعات القرآن، ويستقصيها أحصاءً لتكون هيكلاً مترابطاً يشكل وحدة موضوعية متكاملة، ثم يقوم بتفسيرها بحسب منهجه، فالمتخصص بالأحكام يبحث آيات الأحكام والمتخصص بالعقائد يحصي آيات العقائد وهكذا))[٣٠].

فكأن مفهوم التفسير الموضوعي عند الدكتور الصغير رهن على جانبين:

- الجانب الأول (الموضوع)

- الجانب الثاني (التخصص)

فالمفسر الموضوعي من وجهة نظر الدكتور الصغير لا يتبع موضوعاً واحداً فحسب بل يحصي الآيات المتعلقة بتخصصه ويستقصيها وأن تباينت فيما بينها في موضوعاته أيماناً منه بأن هذه الموضوعات متفقة في مرجعيتها الكلية وإنْ افترقت في سماتها الجزئية، فكل آيات العقائد في نصوص القرآن الكريم وإن اختلفت موضوعاتها العقائدية التي تطرحها فإنه يرى أنها جميعاً متوافقة باعتبار كونها تتحدث عن العقيدة فهي الماهية الموحدة في النصوص كلها والموحدة لتلك النصوص في الوقت نفسه ومن هنا يتضح لنا أن الدكتور الصغير قد فتح نطاق مفهوم التفسير الموضوعي بسعة أكبر مما قدمه أمين الخولي، فأحال المسألة على التخصص، ولم يقتصر على الموضوع فحسب [٣١].

ومن المحدثين من شاطر أمين الخولي في رأيه بأن ترتب الآيات زمنياً وأنه يرى أن التفسير الموضوعي اصطلاح مستحدث وهذا ما ذهب اليه الفرماوي في تعريفه للتفسير الموضوعي قائلاً: ((اصطلاح مستحدث أطلقه العلماء المعاصرون على جمع الآيات القرآنية التي اشتركت في موضوع ما...، وترتيبها حسب النزول ما أمكن ذلك، مع الوقوف على أسباب نزولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي

الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويسر، ويحيط أحاطة تامة تمكنه من فهم أبعاده والذود عن حياضه))[٣٢] إن هذا التعريف جاء باعتبار الخطوات لا باعتبار المفهوم والماهية ويقتصر على المفهوم والماهية ويقتصر على خطوات التجميعي دون الكشفي أيضاً فما يؤخذ على أمين الخولي يؤخذ هنا على عبد الحي الفرماوي، فضلاً عن أن تعريف الفرماوي يشير الى أن التفسير الموضوعي اصطلاح ((مستحدث)) وأن تسميته هذه ظهرت في العصر الحديث (القرن العشرين الميلادي) ولم تكن معروفة من قبل ولا نعلم ما فائدة قيد المستحدث في تحديد مفهوم التفسير الموضوعي الذي سيتقادم بعد حين وتزول عنه هذه الصفة أي انه قيد غير جوهري ولا لازم[٣٣].

أما مفهوم محمود شلتوت للتفسير الموضوعي فهو: ((أن يعمد المفسر الى جمع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتلجى له الحكم ويتبين المرمى التي ترمي اليه الآيات الواردة في الموضوع وبذلك يضع كل شيء موضعه، ولا يكره آية على معنى لا تريده)) [٣٤].

يلحظ على أن هذا التعريف يجعل من الموضوع المفسَّر موضوعاً قرآنياً محضاً للمفسر بالواقع الحياتي ولا علاقة له به حيث أن مفهوم التفسير الموضوعي عند شلتوت يتجسد في عملية التفسير التي تدور على موضوع واحد لتجمع آياته من القرآن لتعاد قراءتها من جديد؛ وبهذا فهو يبتعد عن منطق السيد الصدر في فهم التفسير الموضوعي كما ابتعدت سائر التعريفات السابقة للتفسير الموضوعي عنه، ذلك بأن الأصل في تحقق مفهوم التفسير الموضوعي عند السيد الصدر هو أن يقوم على اساس المشكل الخارجي ثم يجري عملية البحث عن حل له في النصوص القرآنية من أجل استنباط منظور متكامل عنه ويتم التعامل مع هذا الواقع المستعصي (الموضوع) على أساس منتجات القراءة التفسيرية الموضوعية للنصوص القرآنية على هذا المورد[٣٥].

ولعل اقرب ما وجد البحث من تعريف للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم هو تعريف عبد الجليل عبد الرحيم أذ يقول بأنه: ((المنهج الذي يتخذه المفسر سبيلاً للكشف عن مراد الله من خلال المواضيع التي يطرحها والقضايا التي يعالجها، توضيحاً لهدايات القرآن،

وتجلية لوجوه إعجازه))[٣٦]، ويمكن أعادة صياغته على النحو الآتي وهو الكشف الكلي عن مراد الله عزّ وجل في قضية قرآنية بحسب الطاقة البشرية وبهذا فإن مفهوم التفسير الموضوعي للقرآن يقوم على عنصرين رئيسين هما [٣٧]:

الاول: (الكلية):

فما يميز التفسير الموضوعي ذلك النظر الكلي الذي يتجاوز جزئيات موضوعه ومفرداته الى نظرة كلية متحصلة من هذه الجزئيات.

الثاني: (القضية) أو الموضوع:

إن الذي يعني المفسر الموضوعي في المحل الأول هو ما ينبثق من المعاني والأفكار عن الآيات القرآنية ولا تعنيه الألفاظ والتراكيب إلاّ بمقدار ماهي دالة ومرشدة الى الفهم الكلي ذلك.

اما الكشف عن مراد الله في شأن معين من خلال آية واحدة فيخرج من هذا التعريف، لأن المراد في آية قد لا يكون الفهم الكلي للمراد في القضية أو المسألة عموماً، ففي قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [٣٨] لا تكفي في بيان مراد الله من عدة المطلقة مطلقاً.

وفي تعريف إطلاق (مراد الله) وإطلاق (قضية قرآنية) يقتضي شمول النظر واستكماله في كل القرآن بحثاً عما يمكن أنْ يكمل مراد الله في هذه القضية، أما قيد (الطاقة البشرية) فيستلزم التأكيد بأن التفسير الموضوعي للقرآن في نهاية مطافه ليس الا اجتهاد بشري قد يُخطيء وقد يصيب، ولا يحق لأحد أنْ يدعي أنَّ ما فهمه من مراد الله هو حقاً المقصود من كلامه، بل هو اجتهاده وتمكينه من الفهم وهذا الفهم قد يكون مطابقاً للمراد أو قد يكون مخالفاً له، ذلك بان التفسير الموضوعي للقرآن إذا كان يساعد المفسر للكشف عن أسرار القرآن وهداياته وحكمه[٣٩] فهذا لا يعني أنه يمكنه في حسم القول في مراد الله من قرآنه، أو الاتيان بالقول الفصل في تفسيره ابداً.

الخاتمة:

توصلت الباحثة إلى مجموعة ثمرات علمية يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

- ان داعي التفسير الموضوعي خارجي (خارج النص) فالمتدبر الموضوعي يبدأ من

ملابسات الواقع واشكالياته سواء كان الاشكال عقائدياً أم اجتماعياً أو اقتصادياً، ثم يغوص في النصوص القرآنية التي تدور على حل هذا الاشكال محملاً برؤى وافكار، بهموم وقضايا، ثم يسكبها جميعاً في نهر القرآن، يحاوره ويناقشه، لينتزع منظومة علاجية لذلك الداعي الخارجي، دون ان يحمل القرآن ما لا يحتمل، أو يلوي عنق القرآن ليفضي الى المستجدات الراهنة في قسر واجبار.

- يعد الاتجاه الموضوعي في التفسير الدليل الأقوى على قيمومة القرآن على البشر وسلطة النص معرفياً على الحياة لأنَّ نتائج الموضوعية في بيان النصوص القرآنية تثبت بما لا يقبل الجدل بأن هذا التعبير المقدس هو خطاب السماء الذي يمنح العقل البشري اوسع مساحة للمعرفة واعلى سقف علاجي.
- اذا استطاع العقل الإنساني أنْ يوظف الاتجاه الموضوعي توظيفاً جدياً وصحيحاً لقراءة النصوص القرآنية، فأنه سيقفز مسافات شاسعة في عالم المعرفة وسيحقق انجازات هائلة في النطاق الفكري.

هوامش البحث

(١) العين، الفراهيدي:٢:١٩٥.
(٢) معجم مقايس اللغة، ابن فارس:١٠٥٥.
(٣) ظ:لسان العرب، ابن منظور: ٣٩٦/٨. وظ: الصحاح،الجوهري:١٢٩٩/٣.
(٤) ظ:التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي:١٣٠/١٣.
(٥) اصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن، مازن شاكر التميمي:٤٦.
(٦) الاعراف/١٥٧.
(٧) ظ: الوجيز، الواحدي: ١ / ٢٤٦. و ظ: أيسر التفاسير، أسعد حومد:١١١٢/١.
(٨) ال عمران/٣٦.
(٩) ظ: تفسير الجلالين، المحلي:١ / ٣٢٨. و ظ: لباب التأويل، الخازن:٣٦٣/١.
(١٠) الأنبياء/٤٧.
(١١) الصحاح، الجوهري:١٣٠٠/٣.
(١٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي:٩٤/٣.

(١٣) المد خل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد: ٢٣.
(١٤) ظ: قواعد في علوم الحديث، التهاوني:٤٢.
(١٥) ظ:الرافد في علم الاصول، علي الحسيني السيستاني:٩٥-٩٦. وظ: المنطق، محمد رضا المظفر:١٣٧-١٣٨.
(١٦) المد خل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد:٢٠.
(١٧) ظ: التفسير الموضوعي للنص القرآني بين منطق السيد محمد باقر الصدر ومنظور العلماء المحدثين- قراءة موازنة-، سيروان عبد الزهرة الجنابي بحث منشور في وقائع المؤتمر الدولي محمد باقر الصدر والخميني مجدد الفكر الإسلامي الحديث، تشرين الثاني/٢٠١٠م :٣.
(١٨) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر:١٨.
(١٩) ظ:التدبر الموضوعي في القرآن الكريم قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسى :١٧٩.
(٢٠) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر:١٥.
(٢١) ظ: التفسير الموضوعي مقارنات بين السيد الصدر وآخرين، جواد علي كسار:٥٧.
(٢٢) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم:٣٤٦.
(٢٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة:١٠٣٧/٢.
(٢٤) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر:٢٣.
(٢٥) ظ:التدبر الموضوعي في القرآن الكريم قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسى : ١٧٦. و ظ: التفسير الموضوعي مقارنات بين السيد الصدر وآخرين، جواد علي كسار:٥٣.
(٢٦) ظ:اصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن، مازن شاكر التميمي:٦٧. و ظ:التدبر الموضوعي في القرآن الكريم قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسى : ١٧٧.
(٢٧) ظ: دراسات قرآنية (المبادئ العامة في تفسير القرآن)، محمد حسين علي الصغير : ١٢٠-١٢١. وظ: مناهج تفسير النص القرآني دراسة في النظرية والتطبيق، سيروان عبد الزهرة الجنابي:٢٣٧.
(٢٨) دائرة المعارف الاسلامية، أمين الخولي، مادة تفسير:٣٦٨/٥. وظ: دراسات قرآنية (المبادئ العامة في تفسير القرآن)، محمد حسين علي الصغير : ١٢١.
(٢٩) ظ: التدبر الموضوعي في القرآن الكريم قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسى ١٤٢. و ظ: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته ، حكمت عبيد الخفاجي:٥٢.
(٣٠) دراسات قرآنية (المبادئ العامة في تفسير القرآن)، محمد حسين علي الصغير :١٢١.
(٣١) ظ:التفسير الموضوعي للنص القرآني بين منطق السيد محمد باقر الصدر ومنظور العلماء المحدثين- قراءة موازنة-، سيروان عبد الزهرة الجنابي بحث منشور في وقائع المؤتمر الدولي محمد باقر الصدر والخميني مجدد الفكر الإسلامي الحديث، تشرين الثاني/٢٠١٠م:٤.
(٣٢) البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي:٥٢.

(٣٣) ظ: التدبر الموضوعي في القرآن الكريم قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسى ١٤٢. و ظ:منهج التفسير الموضوعي للقرآن دراسة نقدية، سامر عبد الرحمن رشواني:٤٤.

(٣٤) من هدي القرآن، محمود شلتوت:٣٢٢.

(٣٥) ظ: التفسير الموضوعي للنص القرآني بين منطق السيد محمد باقر الصدر ومنظور العلماء المحدثين- قراءة موازنة-، سيروان عبد الزهرة الجنابي بحث منشور في وقائع المؤتمر الدولي محمد باقر الصدر والخميني مجدد الفكر الإسلامي الحديث، تشرين الثاني/٢٠١٠م:٦. و ظ: التفسير الموضوعي مقارنات بين السيد الصدر وآخرين، جواد علي كسار:١٥.

(٣٦) منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد خليل محمد الدماغين، نقلاً عن عبد الجليل عبد الرحيم:١٣.

(٣٧) ظ: منهج التفسير الموضوعي للقرآن دراسة نقدية، سامر عبد الرحمن رشواني:٤٥.

(٣٨) البقرة/٢٢٨.

(٣٩) ظ: منهج التفسير الموضوعي للقرآن دراسة نقدية، سامر عبد الرحمن رشوان:٤٥-٤٦.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. اصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن، مازن شاكر التميمي، اصدار شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، ط١، ١٤٣٦هـ -٢٠١٥م.
٢. ايسر التفاسير، أسعد محمود حومد، ط٤، ١٤١٩هـ-٢٠٠٩م.
٣. بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي، محمد نبيل غنايم، دار الهداية، ط١، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠٢م.
٤. البداية في التفسير الموضوعي دراسة منهجية، عبد الحي حسين الفرماوي، القاهرة- مصر، مطبعة: جمهورية مصر، ط٢، ١٣٩٩هـ -١٩٧٧م.
٥. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، طهران، ط١، ١٣٩٣هـ.ق.
٦. التدبر الموضوعي في القرآن الكريم قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، علي آل موسى، دار كميل، بيروت لبنان، ط١،١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩م.
٧. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي(ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تعليق علي محمد الضباع، راجعه عبد العزيز سيد الأهل، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني-القاهرة، د.ط، د.ت.

٨. التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، زيد عمر عبد الله العيص، مكتبة الرشيد، الرياض /السعودية،١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
٩. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته، حكمت عبيد الخفاجي، دار الرضوان للنشر والتوزيع- عمان - الاردن، ط١،٢٠١٣هـ.
١٠. التفسير الموضوعي للنص القرآني بين منطق السيد محمد باقر الصدر ومنظور العلماء المحدثين- قراءة موازنة-، سيروان عبد الزهرة الجنابي بحث منشور في وقائع المؤتمر الدولي محمد باقر الصدر والخميني مجدد الفكر الإسلامي الحديث، تشرين الثاني/٢٠١٠م.
١١. التفسير الموضوعي مقارنات بين السيد الصدر وآخرين، جواد علي كسار، مؤسسة الثقلين الثقافية، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
١٢. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة- قم المقدسة،ط٢، ١٤٢٥ق-١٣٨٣ش.
١٣. دائرة المعارف الاسلامية، أمين الخولي، مادة تفسير، اوفست،(ت١٩٣٣م)، د.ط، د.ت.
١٤. دراسات قرآنية (المبادئ العامة في تفسير القرآن الكريم)، محمد حسين علي الصغير، مكتب النشر مكتب الاعلام الاسلامي، ط١، ١٤١٣هـ.ق.
١٥. الرافد في علم الاصول، علي الحسيني السيستاني، بقلم منير السيد عدنان القطيفي، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، د.ط، د.ت.
١٦. الصحاح في اللغة، اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، عناية : خليل مأمون شيحا، دار المعرفة -بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.
١٧. علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الاسلامي ٢٢،ط٤، د.ت.
العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م. مصادر التمهيد الجزء الاول
١٨. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
١٩. القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.
٢٠. قواعد في علوم الحديث، ظفر احمد العثماني التهاوني(ت١٣١٠-١٣٩٤هـ)، تحقيق عبد الفتاح ابو غدة، الناشر: دار القلم- بيروت، ط٣، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م.
٢١. لُباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن (ت٧٢٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان،ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

٢٢. لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، مراجعة يوسف البقاعي وآخرون، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٣. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم دمشق،ط٨، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.
٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ)، تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال والسيد إبراهيم، وتحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ط،١٤٢٢م.
٢٥. المدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد
٢٦. المدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ط٢، ١٤١١هـ -١٩٩١م.
٢٧. المدخل الى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ط٢، ١٤١١هـ -١٩٩١م.
٢٨. المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات بيروت -لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
٢٩. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، مراجعة: انيس محمد الشامي، دار الحديث، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٨م.
٣٠. من هدي القرآن، محمود شلتوت(١٣٣٨هـ -١٩٦٣م)، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ط،١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.
٣١. مناهج تفسير النص القرآني دراسة في النظرية والتطبيق، سيروان عبد الزهرة الجنابي،الدار البيضاء بيروت -لبنان،ط١، ١٤٣٦هـ -٢٠١٥م.
٣٢. المنطق، محمد رضا المظفر، تصحيح وتعليق: علي شيرونى، الناشر: مؤسسة انتشارات دار العلم، قم، د.ط، د.ت.
٣٣. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، سامر عبد الرحمن رشواني، دار الملتقى سوريا -حلب، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٤.منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد خليل محمد الدماغين، دار البشير، عمان الاردن، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.